المحاضرة رقم (02)التطور التاريخي لوسائل الإتصال

كانت وسائل الإعلام والإتصال في العصور القديمة طبولا ودخانا و نارا و طيورا و خيلا..... كما كان التجار يحملون معهم في أسفارهم الأخبار والمندوبون ينشرونها ويعلنون أوامر الحكام ، بالإضافة طبعا إلى الوسيلة العامة المتمثلة في الإتصال الشخصي الإعتيادي بين جميع الناس .

ولقد كان الناس يسجلون رسائلهم وينسخونها بالأيدي (حفرا أو كتابة) على المواد الطبيعية التي كانت متوفرة لديهم آنذاك (الأجر، الخشب، النحاس، العاج ، العظام ....) ومع مرور الزمن برزت الحاجة إلى الحصول على مادة للكتابة تكون سهلة للحمل و الخزن و الإستعمال ، وقد إجتهد المصريون القدماء فاستخدموا ورق البردي (نبات مائي يجفف ولا يعجن بخلاف لحاء شجر التوت) الذي إنتقل إلى اليونانيين و الرومان ،ثم تمكن الصينيون من إختراع الورق من لحاء شجر التوت حوالي سنة 105 م .

و استمر الوضع كذلك إلى حد إكتشاف المطبعة اليدوية في القرن 15 (1436) (سبقتها محاولات صينية فاشلة في القرن 11) ثم إكتشاف المطبعة الميكانيكية الأولى مع مطلع القرن 19.

وهذا يعني أن وسائل الإعلام و الإتصال خضعت في تلك العصور لأطوار متعددة (الكلام والرموز ،ثم الكتابة التصويرية و الحرفية)، حتى إختراع المطبعة في ألمانيا من طرف "جوتنبرغ) عام 1436،التي كانت تمثل لدي البعض الفاصل الحقيقي بين العصور القديمة و العصور الحديثة ، من حيث إرتباطها بتطور وسائل الإتصال طبعا، ذلك أنها أمدت العالم الحديث بوسائل إعلام وإتصال جديدة إبتداءا من الكتاب الجماهيري ، والنشرات ،ثم الصحف (أول مجلة منتظمة : هولندا 1605،وأول يومية بريطانيا 1702 ، وبذلك أصبحت الكلمة المقروءة هي وسيلة الإعلام و الإتصال الأولى في العصر الحديث، وقد تدعمت بعد ذلك بإعتماد وكالات الأنباء (تعتبر وكالة هافاس التي ظهرت عام 1835 أولها) التي أصبحت بعد ذلك الممون الأساسي للوسائل الأخرى .

ثم حدثت الثورة الثانية في مطلع القرن 20 بظهور المخترعات السمعية البصرية الحديثة (سينما ، راديو ، وتلفزيون) وكان قمة الثورة في الإتصال ظهور الأقمار الصناعية في نهاية الخمسينات من القرن الماضي، على يد السوفييت ثم الأمريكيين ، وخاصة بعد نقل الألعاب الأولمبية من طوكيو عام 1964 ، تلتها إختراعات أخرى ، الفيديو خاصة عام 1964 ،الذي مكن الجمهور من إعادة شارات التلفزة ، والتلفزة بواسطة الكابلات (مطلع السبعينات) التي سمحت بوضوح الصورة و الصوت ، وعدد البرامج والقنوات ثم الكمبيوتر الذي أدخلنا في عصر المعلوماتية و ظهرت مع نهاية القرن 20 وسائل جديدة للإعلام و الإتصال ، متعددة الوسائط ، حيث أدت في الثمانينات إلى ما نسميه بالتكنولوجيا الجديدة للإعلام والإتصال (NTIC)، والتي تتمثل أساسا في تطور الأقمار الصناعية ، الكوابل ، الفاكس ،الفيديو تكست ،الفيديو دسك، التلفزة عالية التحديد و الرقمية ، الأشرطة و الأقراص المضغوطة .....يضيف "م ماكلوهان" الذي قسم إعلاميا تطور المجتمعات إلى ثلاثة أطوار.

في الطور الأول (قبل ظهور المطبعة1436) : كان الإتصال شفويا يتم مباشرة من الفم إلى الأذن ، مما دعم العلاقات الاجتماعية و تماسك المجتمع في وحدات قبلية مندمجة .

في الطور الثاني (من سنة 1500 إلى سنة 1900 تقريبا) : كان الإتصال سطريا ، إنتقل فيه الإنسان إلى عصر الطباعة ،حيث حروف "جوتنبرغ" مخترع آلتها سنة 1436 في تتابعها كقطع مجزأة وحرة ، في سطور متتالية جعلت الإنسان يجنح إلى الفردية و الإستقلالية و يشعر بأهمية الإنتماء القومي ، وجعلت الفكر الإنساني يتخذ شكل التسلسل و التتابع مثل الكلمات و السطور المطبوعة .

أما في الطور الثالث (منذ بداية القرن 20): والمدعو بعصر الدوائر الإلكترونية فتمت العودة إلى ما يشبه بالإتصال الشفوي ، من حيث خصائص التواصل وتمثل ذلك بشكل خاص في كل من السينما ، التلفاز ....

هناك من قسم تاريخ الإنسانية من حيث إرتباطها بوسائل الإتصال إلى أربعة مراحل بتسميات ولفترات مختلفة : ميز المرحلة الثانية ظهور الكتابة كبديل للإتصال بالإشارات والإتصال الشفوي اللذين ميزا المرحلة الأولى ، و مثل المرحلة الثالثة ظهور وإنتشار الطباعة التي سمحت بتعددأو إعادة الإنتاج الصناعي للرسالة ، بينما يمثل رابعها بتعدد الوسائل (المطبوعة، السمعية ، سمعية بصرية) التي أصبحت لا تسمح فقط بإعادة الإنتاج المتسلسل ، بل بالنشر الفوري للرسالة إلى جمهور واسع (مرحلة الإتصال الجماهيري) .

هناك من قسم التطور التاريخي لوسائل الإعلام والإتصال البشري عبر العصور إلى خمس مراحل أو عصور متلاحقة وفق رأي (دوفلور وروكيتش) عصر الرموز والإشارات (بالحركة والصوت والنقش) مؤكدين على العصر الدارويني .

تلاها حسبهما عصر الخطابة واللغة حيث تمكن الإنسان من إستخدام أساليب الكلام و الخطابة معتمدا على الكلمة كمفردة لغوية مقتصرا على الإتصال الشفوي الخطابي ، ومحاولا الكتابة بالكلمات ، أما عصر الكتابة العادية فترجع جذوره إلى عصر الكتابة المصورة أو الرمزية .

ولقد تطورت الكتابة المعاصرة قبل إكتشاف الورق عن طريق النقش والرسم على الجدران والصخور لتنتقل إلى إستخدام ورق البردي و الجلد و الخشب و أخيرا الورق الحالي الذي إكتشفه الصينيون ، ثم بدأ عصر الطباعة خلال القرن 15 محدثا ثورة في مجال وسائل الإتصال والتي إستمرت إلى حين القرن العشرين 20 الذي يعتبر فاتحة عصر وسائل الإتصال الحديثة من صحافة مكتوبة و راديو وتلفزيون وأقمار صناعية ....الخ.